

روح المعاني

صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : بعثت لاتمم مكارم الأخلاق وشهد الله تعالى له بقوله وإنك لعلی خلق عظیم ومنشأ إكرام الضيف الرحمة وعرشها المحيط رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يؤذن ذلك بقوله تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ولهذا كان الخاتم E . وقد روى الحاكم وصححه جندب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قبل أن يتوفى إن الله تعالى اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا والتشبيه على حد كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم في رأي وقيل : إن يتوفى لادلالة فيه على أن مقام الخلّة بعد مقام المحبة كما لا يخفى .

وفى لفظ الحب والخلّة ما يكفى العارف فى ظهور الفرق بينهما ويرشده إلى معرفة أن الدائرتين أوسع وذهب غير واحد من الفضلاء إلى أن الآية من باب الاستعارة التمثيلية لتنزّه تعالى عن صاحب خليل والمراد اصطفاؤه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وأما فى الخليل وحده فاستعارة تصريحية على ما نص عليه الشهاب إلا أنه صار بعد علما على إبراهيم E .

وادعى بعضهم من وصف إبراهيم E بالخليل حقيقة على معنى الصادق أو من أصفى المودة وأصحها أو نحو ذلك وعدم إطلاق الخليل على غيره E مع أن مقام الخلّة بالمعنى المشهور عند العارفين غير مختص به كل نبي خليل الله تعالى إما لأن ثبوت ذلك المقام له E على وجه لم يثبت لغيره كما قال وإما لزيادة التشريف والتعظيم كما نقول واعترض بعض النصارى بأنه إذا جاز إطلاق الخليل على إنسان تشريفا فلم يجز إطلاق الابن على آخر لذلك وأجيب بأن الخلّة لا تقتضى الجنسية بخلاف البنوة فنّها تقتضيها قطعاً والله تعالى هو المنزه عن مجانسة المحدثات .

والله ما فى السماوات والأرض يحتمل أن يكون متصلا بقوله تعالى : ومن يعمل من الصالحات على أنه كالتعليل لوجوب العمل وما بينهما من قوله سبحانه : ومن أحسن دينا اعتراض أى ان جميع ما فى العلو والسفل من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شئ منها فيجازى كلا بموجب أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وأن يكون متصلا بقوله جل شأنه : واتخذ الله الخ بناء على أن معناه اختاره واصطفاه أى هو مالك لجميع خلقه فيختار من يريده منهم كما إبراهيم E فهو لبيان أن اصطفاؤه E بمحض مشيئته تعالى .

وقيل : لبيان أن اتخاذه تعالى لإبراهيم E خليلا ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك لشأن من شأنه كما هو دأب المخلوقين فان مدار خلقتهم افتقار بعضهم إلى بعض فى مصالحهم بل لمجرد

تكرمه وتشريفه وفيه أيضا إشارة الى أن خلته عليه السلام لاتخرجه عن العبودية ﷻ تعالى .
وكان ﷻ بكل شيء محيطا .

126 .

- إحاطة علم وقدره بناءا على أن حقيقة الإاطة فى الأجسام فلا يوصف ﷻ تعالى بذلك فلا بد من التأويل وارتكاب المجاز على ماذهب إليه الخلف والجملة تذييل مقرر لمضمونه ما قبله على سائر وجوهه .

هذا ومن باب الاشارة فى الآيات وإذا ضربتم فى الأرض أى سافرتم فى أرض الاستعداد لمحاربة عدو النفس أو تحصيل أحوال الكمالات فلاجتاح عليكم أن تقصروا من الصلاة أى تنقصوا من